المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية اللغة العربية
قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي

البلاغة القرآنية في تفسير الشيخ

ابن عثيمين (رحمه الله)

(دراسة وتقويما)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إعداد
رانية بنت عبد الله بن عبد الكريم الشامخ

إشراف الدكتور
عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر

الأستاذ المشارك في قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي

العام الجامعي: ١٤٣٢/ ١٤٣٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن الله ﷻ كما تكفل بحفظ ألفاظ القرآن الكريم، فقد تكفل ببيانه كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾.

وقد هيَّأ الله لهذه الأمة المباركة من يبين لها معاني القرآن على مر العصور، حيث تصدى لهذه المهمة علماء أجلاء، وأئمة نجباء، فسّروا آيات القرآن، وبينوا معانيه، وأظهروا أسراره الكامنة، وأبانوا عن بلاغته وأسرار وإعجازه.

فترك هؤلاء العلماء لمن بعدهم ثروة علمية هائلة، تمثلت في كتب التفسير المشتهرة؛ التي تلقتها الأمة بالقبول، واستفاد منها العلماء، وطلبة العلم جيلاً بعد جيل.

ومن أولئك الراسخين الذين تركوا ميراثًا تفسيريًّا مباركًا الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين-رحمه الله تعالى-، فقد تميز تفسير هذا العالم الجليل بأنه من أفضل التفاسير المعاصرة دقة ومنهجًا واستنباطًا وتحريًّا للحق، مع ما امتاز به من سلفية المعتقد، والرد على أهل البدع والضلالات.

كما تميز تفسيره -رحمه الله- بحسن الجمع بين الأقوال المتنوعة، وفي اختيار الراجح منها عند تعارضها، وقد ظهرت البلاغة القرآنية في أوج صورها، إضافة إلى عنايته -رحمه الله- بعلوم البلاغة ووقوفه على فنونها وأفنانها من خلال تفسيره. فشرعت – متوكلة على الله – بدراسة منهجه البلاغي من خلال كتب التفسير ومؤلفاته الأخرى؛ لتكون موضوعًا لبحث رسالة الماجستير في البلاغة، وسميته:

البلاغة القرآنية في تفسير الشيخ ابن عثيمين دراسة وتقويمًا

أسأل الله التوفيق والسداد في القول والعمل، إنه سميع مجيب الدعاء.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- أن ميدان هذا البحث هو كتاب الله تعالى، وقد قيل: إن شرف العلم بشرف المعلوم.

٣- مكانة الشيخ ابن عثيمين العلميّة.

٤- اهتمام الشيخ بالبلاغة العربية، فهو مبرز فيها، كما هو مبرز في علوم اللغة بعامة.

٥- أن للشيخ رحمه الله اجتهادات كثيرة واختيارات في وجوه بلاغات القرآن.

٦- ان تفسير الشيخ رحمه الله على وفق منهج أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته الحسنى ، وفي مسائل الغيب وسائر أبواب الاعتقاد، ففي ذلك:

٧- الرد على من زعم أن تفاسير أهل السنة لا تجد فيها علوم البلاغة، أو تضعف فيها الجوانب البلاغية ويخفت ضوءُها.

٨- عدم وجود مؤلف يتحدث عن البلاغة القرآنية في تفسير الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-.

أهداف البحث:

١- بيان بلاغة القرآن الكريم وإعجازه – من خلال ما كتبه الشيخ.

٢- تذوق أساليب القرآن، وتأملها وتدبرها .

٣- أن للشيخ ابن عثيمين –رحمه الله – نظراتٍ وتعليقات قيّمة في ميدان البلاغة غير مجموعة في كتاب أو رسالة، وتحتاج إلى من يلم شتاتها ويدرسها درسا، فقد جلس للعلم والتعليم عقودا، وترك تراثًا ضخمًا ينبغي الوقوف عليه لا سيما في هذا العلم.

٤- الاستفادة من جهود الشيخ– رحمه الله – في الكشف عن المسائل البلاغية المرتبطة بالقرآن؛ إذ كان لا يكتفي بنقل ما ذكره العلماء قبله فقط؛ بل كان يبدي رأيه– في الغالب – ويسبر أغوار النصوص.

٥- إبراز علم الشيخ البلاغي مجموعا مبوبا.

٦- إبراز منهج الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله - في البحث البلاغي؛ ليكون في متناول الدارسين، حيث تمثل اجتهادات عالم له قدم راسخة.

٧- إبراز القيمة العلمية لتفسير الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-.

الدراسات السابقة حول الموضوع:

بعد البحث والاطلاع على فهارس الرسائل العلمية والدراسات في علوم القرآن واللغة العربية، وبالرجوع إلى مراكز البحوث، لم أجد من تعرض لبحث في تفسير الشيخ ابن عثيمين رحمه لله؛ عدا دراسة واحدة في التفسير وعلومه المقدمة من (د. أحمد بن محمد البريدي) لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، قسم علوم القرآن في الرياض.

ويعد هذا البحث دراسة جديدة؛ لتعلقه ببلاغة القرآن في كتب الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله–.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة: وفيها:

أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، والدراسات السابقة حوله، وخطته، ومنهج الكتابة فيه.

التمهيد: وفيه تحدثت عن:

لمحة عن حياة الشيخ ابن عثيمين.

آثار الشيخ.

عنايته بالدرس البلاغي.

الفصل الأول: القضايا البلاغية، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: وجوه إعجاز القرآن الكريم.

المبحث الثاني: المتشابه اللفظي.

المبحث الثالث: المجاز.

المبحث الرابع: التوجيه البلاغي في آيات العقيدة.

الفصل الثاني: علوم البلاغة في تفسيره، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المعاني.

المبحث الثاني: البيان.

المبحث الثالث: البديع.

الفصل الثالث: السمات البلاغية وتقويمها، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: في المنهج.

المبحث الثاني: في المصطلحات.

المبحث الثالث: في الشواهد.

المبحث الرابع: في المصادر.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس الفنية للبحث، وهي:

١- - فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث النبوية.

٣- فهرس الأبيات الشعرية.

٤- فهرس الأعلام المترجم لهم.

٥- فهرس المصادر والمراجع.

٦- فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، على النحو الآتي:

١- عزو الآيات القرآنية الواردة في الرسالة إلى سورها مع ذكر رقم الآية.

٢- تخريج الأحاديث النبوية، فإن كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما عزوته إليهما، دون ذكر غيرهما لتلقي الأمة لهما بالقبول، فإن لم يكن فيهما عزوته إلى غيرهما من كتب السنن والمسانيد وغيرهما، مع ذكر درجة الحديث، نقلا عن العلماء.

٣- تقديم كل فن بلاغي بمقدمة موجزة له، فربما يقع البحث في يد غير متخصص فيستفيد بذلك.

وقد واجهتني صعوبات في البحث، أهمها غزارة علم الشيخ وكثرة مؤلفاته، وقل أن يخلو كتاب للشيخ أيا كان فنه من تفسير آية قرآنية ، مما استدعى قراءة تلك الأسفار والتنقيب في مطاويها لإخراج مادة البحث، بيد أن في تلك المؤلفات ما لم يطبع، بل هو مفرغ من الأشرطة من قبل تلاميذ الشيخ، فكنت أقرأ وأدقق وأتثبت، شأن كل باحث.

هذا؛ وأشكر الله تعالى على ما أعان ويسر، فله سبحانه الشكر أولا وآخرا، كما أشكر المشرف على البحث الدكتور عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، جزاه الله خيرا على ما وجه ونصح وأرشد كل ذلك بسعة حلم ونفس تفيض بالعطاء، حتى خرج البحث بهذه الصورة،

والشكر موصول إلى الشيخين الكريمين فضيلة الدكتور: عواض الجميعي، وفضيلة الدكتور :يوسف العليوي، لقراءتهما هذه الرسالة، وما أبدياه من ملحوظات نيرة لها الأثر في إتمام هذا البحث والرقي به.

وأشكر من لهما سبق المعروف والفضل علي – بعد الله ﷻ – الدكتور : محمد بن علي الصامل ، والدكتور: محمد بن خالد الفاضل فجزاهما الله خير الجزاء.

كما أخص بالشكر والدي الحبيب- أطال الله في عمره على طاعته وصحته- وأشكر رفيق دربي زوجي الدكتور دخيل بن عبد الله الدخيل.

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر لجامعتنا المباركة؛ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية على اهتمامها وعنايتها بعلوم اللغة العربية، وعلى أنْ أتاحت لي هذه الفرصة لمواصلة الدراسة. والشكر موصول لقسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي بكلية اللغة العربية على ما يقدم لطلابه متمثلا برئيس قسمه الدكتور: سليمان المنصور ؛ الذي

لم يأل جهدا في النصح ومد يد العون لابناء هذا القسم المبارك ، وأشكر لسائر إخوتي وزميلاتي ما وقفوا معي، أحسن الله إليهم كما أحسنوا إلي.

أسأل الله أن يغفر للشيخ محمد ابن عثيمين ويرفع درجته في المهديين، وأسأله سبحانه أن ينفع بهذا البحث، وأن يغفر للكاتبة ما أخطأت فيه أو قصرت.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه ومن اقتفى أثره إلى يوم الدين.

الرياض في ٧ جمادى الآخرة ١٤٣٣هـ.

التمهيد

وفيه تحدثت عن:

لمحة عن حياة الشيخ ابن عثيمين.

آثار الشيخ.

عنايته بالدرس البلاغي.

١ـ لمحة عن حياة الشيخ ابن عثيمين:

نسبه ومولده:

هو صاحب الفضيلة الشيخ العالم المحقق، الفقيه المفسِّر، الورع الزاهد، أبو عبد الله، محمد بن صالح بن سليمان بن محمد بن عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن مقبل؛ من آل مقبل؛ من آل ريس الوهبي التميمي، وجده الرابع عثمان أطلق عليه: عثيمين؛ فاشتهر به، وهو من فخذ (وهبه) من تميم، نزح أجداده من الوشم إلى عنيزة – إحدى محافظات القصيم – في المملكة العربية السعودية، وولد فيها ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك عام ١٣٤٧هـ، في عائلة معروفة بالدين والاستقامة؛ حيث تتلمذ على بعض أفراد عائلته[١].

عصره وحياته العلمية:

نشأ الشيخ –رحمه الله تعالى– في منطقة نجد، وهي التي ازدانت بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فازدهرت الحياة العلمية بظهور تلك الدعوة؛ ولا سيما في ظل عهد الدولة السعودية الذي امتاز بالأمن والاستقرار والرخاء؛ مما كان له أثر كبير في هذه النهضة العلمية، وكانت منطقة نجد تحتضن نخبة من العلماء البارزين على مستوى العالم الإسلامي، وفي هذا الوقت ولد الشيخ وبدأ طلبه للعلم منذ نعومة أظفاره، وكان حريصًا على التحصيل واغتنام الوقت؛ حيث تعلم القرآن الكريم على يد جده من جهة أمه عبد الرحمن الدامغ –رحمه الله–، ثم تعلم الكتابة وشيئًا من الأدب والحساب، والتحق بإحدى المدارس، وحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب في سن مبكرة، وكذا مختصرات المتون في الحديث والفقه.

ثم إن الشيخ محمد ابن عثيمين –رحمه الله– التحق بحلقة المبتدئين التي رتبها الشيخ عبد الرحمن السعدي[٢]، وكان القائم عليها فضيلة الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع –رحمه الله–.

---

(١) ينظر: الإمام الزاهد، ناصر الزهراني: ٢٧، والجامع لحياة العلامة محمد ابن عثيمين، لوليد الحسين: ١٠.

(٢) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي، أبو عبد الله التميمي، ولد سنة ١٣٠٧هـ، وتوفي سنة ١٣٧٦هـ. عالم له عدة مؤلفات مطبوعة وأبرزها: تيسير الكريم الرحمن، والفوائد السعدية من المواعظ الربانية. ينظر:

=

ولما أدرك ما أدرك من العلم في التوحيد، والفقه، والنحو، جلس في حلقة شيخه فضيلة الشيخ عبد الرحمن السعدي أحد أبرز علماء عصره، فدرس عليه في التفسير، والحديث، والتوحيد، والفقه وأصوله، والفرائض، والنحو.

ويعد الشيخ عبد الرحمن السعدي شيخه الأول الذي نهل من معين علمه، وتأثر بمنهجه، وتأصيله، واتباعه للدليل، وطريقة تدريسه، وقد توسم فيه شيخه النجابة والذكاء، وسرعة التحصيل فكان به حفيًّا، ودفعه إلى التدريس وهو مازال طالبا في حلقته؛ فكانت أول جلسة عقدها للتدريس سنة ١٣٧١هـ، أي قبل وفاة شيخه السعدي بخمس سنوات.

ومن عِظَم منزلة الشيخ ابن عثيمين عند شيخه – رحمهما الله– أنه عندما انتقل والد الشيخ محمد– رحمه الله– إلى الرياض إبان أول تطوره رغب في أن ينتقل معه ولده الشيخ محمد، فكتب له الشيخ السعدي– رحمه الله–: «إن هذا لا يمكن نريد محمدًا أن يمكث هنا حتى يستفيد»[(١)]. ويقول فضيلة الشيخ ابن عثيمين–رحمه الله–: «إنني تأثرت به كثيرًا في طريقة التدريس، وعرض العلم وتقريبه للطلبة بالأمثلة والمعاني، وكذلك تأثرت به من ناحية الأخلاق؛ لأن الشيخ عبد الرحمن –رحمه الله– كان على جانب كبير من الأخلاق الفاضلة، وكان على قدر كبير في العلم والعبادة، وكان يمازح الصغير ويضحك إلى الكبير، وهو من أحسن من رأيت أخلاقا»[(٢)].

كما قرأ الشيخ محمد على الشيخ عبد الرزاق عفيفي[(٣)]–رحمه الله– في النحو والبلاغة أثناء وجوده في عنيزة.

مقدمة تيسير الكريم الرحمن: ٥–٨ ، والفوائد السعدية من المواعظ الربانية من تفسير تيسير الكريم الرحمن للشيخ: عبد الرحمن السعدي، إعداد عبد الله المسعود: ٧.

(١) مجموع الفتاوى: ١/ ٩–١٠.

(٢) المرجع السابق: ١/ ١٠.

(٣) عبد الرزاق بن عطية بن عبد البر ولد في مصر سنة ١٣٢٣هـ وتوفي في الرياض سنة ١٤١٥هـ، داعية ومدرس ومشارك في أعمال الخير، عمل نائبا لرئيس البحوث العلمية والإفتاء وعضوا في هيئة كبار العلماء، وله مذكرة في التوحيد (مطبوع)، وحاشية على تفسير الجلالين (مطبوع). ينظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد: ٥٨، من رجب إلى شوال ١٤٢٠هـ، بحث للشيخ: عبد الرحمن السديس بعنوان: عبد الرزاق عفيفي ومعالم منهجه الأصولي، فتاوى ورسائل الشيخ عبد الرزاق عفيفي إعداد: وليد بن منسي والسعيد عبده: ٢١–٣٢.

ولما فُتح المعهد العلمي بالرياض أشار عليه بعض إخوانه[1] أن يلتحق به، فاستأذن شيخه عبد الرحمن السعدي، والتحق بالمعهد العلمي بالرياض سنة ١٣٧٢هـ، حيث انتظم في الدراسة سنتين انتفع فيهما بالعلماء الذين كانوا يُدرسون في المعهد حينذاك، ومنهم العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي[2]، والشيخ عبد العزيز الرشيد[3]، والشيخ عبد الرحمن الأفريقي[4]، وغيرهم رحمهم الله.

واتصل بسماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز[5]-رحمه الله - فقرأ عليه من صحيح البخاري، ومن رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية، وأخذ عنه النظر في آراء فقهاء المذاهب، والمقارنة بينها، ويعد سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز شيخه الثاني في التحصيل والتأثر به[6]، يقول الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: «تأثرت بالشيخ عبد العزيز بن باز-رحمه الله- من جهة العناية بالحديث، وتأثرت به من جهة الأخلاق أيضًا وبسط نفسه للناس»[7].

وتخرج الشيخ من المعهد العلمي، ثم تابع دراسته الجامعية انتسابًا حتى نال شهادته عام ١٣٧٧هـ في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، وقد ذكر عن

---

(١) هو الشيخ علي الصالحي. ينظر مجموع الفتاوى: ١/ ١٠.

(٢) محمد بن الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر بن محمد الجكني، ولد سنة ١٣٢٥هـ، وتوفي سنة ١٣٩٣هـ. عالم ومفسر، له عدة مؤلفات طبع منها: منع المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز، وأضواء البيان في تفسير القرآن وغيرهما، ينظر ترجمة الشيخ محمد الأمين للسديس: ٢٢٣-٢٢٤، ومقدمة نثر الورود على مراقي السعود: ٢٣-٢٤.

(٣) عبد العزيز بن ناصر الرشيد ولد سنة ١٣٣٣هـ وتوفي سنة ١٤٠٨هـ بالرياض من علماء القصيم، درَّس في الحرم المكي وفي المعهد السعودي بمكة، ثم عين رئيسا لهيئة التمييز بالرياض سنة ١٣٨١هـ، ومن مؤلفاته المطبوعة: القول الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، والتنبيهات السنية. ينظر: مقدمة التنبيهات السنية: ٥-٨.

(٤) عبد الرحمن بن يوسف الأفريقي ولد سنة ١٣٢٦هـ وتوفي سنة١٣٧٧هـ، عالم بالحديث النبوي، اشتغل في التدريس في الحرم النبوي ثم بالمعهد العلمي بالرياض، له عدة مؤلفات مطبوعة منها: الأنوار الرحمانية لهداية الفرقة التيجانية، وجواب الأفريقي. ينظر ترجمة الشيخ عمر محمد فلاته للأفريقي: ١/ ٣٤.

(٥) عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ولد سنة ١٣٣٠هـ، وتوفي سنة ١٤٢٠هـ. مفتي السعودية سابقًا ورئيس إدارات البحوث العلمية والإفتاء، من مؤلفاته المطبوعة: الفوائد الجلية في المباحث الفرضية، التحذير من البدع وغيرهما. ينظر: جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز، إعداد: محمد الحمد ٣٣-٣٥.

(٦) الإمام الزاهد للزهراني: ٢٧- ٢٩.

(٧) مجموع الفتاوى: ١/ ١٠.

نفسه-رحمه الله- أن العلم الحقيقي الذي أدركه هو ما قرأه على مشايخه في المساجد، وإن كانت الجامعة أفادته علومًا أخرى[1].

والجدير بالذكر أن سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم قد عَرَضَ عليه في تولي القضاء، بل أصدر قراره بتعيينه رئيسًا للمحكمة الشرعية بالأحساء، فطلب منه الإعفاء، وبعد مراجعات واتصال شخصي من فضيلة الشيخ سمح -رحمه الله- بإعفائه من منصب القضاء[2].

أعماله ونشاطه العلمي:

١- التدريس:

أ) بدأ التدريس منذ عام ١٣٧٠هـ في الجامع الكبير بعنيزة.

ب) التدريس في المعهد العلمي بعنيزة عام ١٣٧٤هـ، إلى عام ١٣٩٨هـ.

ج) التدريس في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم في كلية الشريعة وأصول الدين منذ العام الجامعي ١٣٩٨هـ/ ١٣٩٩هـ حتى وفاته -رحمه الله-.

د) التدريس في الحرم والمسجد النبوي في مواسم الحج، وشهر رمضان، والعطل الصيفية.

٢- المشاركة في لجنة الخطط والمناهج للمعاهد العلمية، وألفَّ عددًا من الكتب المقررة بها.

٣- المشاركة في العديد من المؤتمرات الإسلامية التي عقدت في المملكة العربية السعودية.

٤- المشاركة في عضوية المجلس العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية للعامين الجامعيين ١٣٩٨هـ/١٣٩٩هـ، ١٣٩٩هـ/١٤٠٠هـ.

٥- المشاركة في عضوية هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية من عام١٤٠٧هـ حتى وفاته —رحمة الله-

٦- المشاركة في طائفة من البرنامج الإذاعية كبرنامج: نور على الدرب، وبرنامج: سؤال على الهاتف، وله برامج خاصة كبرنامج: أحكام القرآن الكريم.

٧- الإشراف على مكتب الدعوة وتوعية الجاليات في عنيزة.

٨- الإمامة والخطابة في الجامع الكبير في عنيزة منذ وفاة شيخه عبد الرحمن السعدي

---

(١) مجموع الفتاوى: ٢٦/ ٢٠٢٠.

(٢) السابق: ١/ ١١.

عام١٣٧٦هـ حتى ٣٠/ ٧/ ١٤٢١هـ، حيث كانت آخر خطبة له في هذا الجامع الكبير.

٩- إلقاء المحاضرات العلمية المتخصصة داخل المملكة، وخارجها عن طريق الهاتف.

١٠- التأليف؛ وكانت منذ عام ١٣٨١هـ، حيث ألف كتابه: الرد على الاشتراكية، ثم تتابعت مؤلفاته حتى تاريخه، بل مازالت تُصدر بعد وفاته حتى تحرير هذه الرسالة.

شيوخه:

نَهَلَ الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- في طلبه للعلم من عدة شيوخ، بعضهم في عنيزة، وبعضهم في الرياض حين سكنها للدراسة النظامية، وقد تقدم ذكر بعضهم[١]، ومن الشيوخ الذين درس عليهم:

١- الشيخ عبد الرحمن بن سليمان آل دامغ -رحمه الله- حيث قرأ الشيخ القرآن عليه حتى أتم حفظه، وهو جده من جهة أمه.

٢- الشيخ عبد الرحمن بن علي العودان -رحمه الله- قرأ الشيخ عليه بعض كتب الفقه، والفرائض- علم المواريث-.

٣- الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع -رحمه الله- فقد قرأ عليه: مختصر العقيدة الواسطية، ومنهاج السالكين في الفقه، وكلاهما للشيخ السعدي، والآجرومية، والألفية في النحو والصرف.

٤- الشيخ علي بن حمد الصالحي -رحمه الله- شيخه وقرينه في الطلب على يد الشيخ السعدي.

وهؤلاء من أبرز المشايخ الذين تتلمذ عليهم الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- والمطّلع على كتب الشيخ يرى أنه تتلمذ أيضًا على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم -رحمهما الله، فهو كثيرًا ما ينقلُ عنهما ويذكرُ اختياراتهما[٢].

---

(١) ينظر حياته العلمية في هذا البحث: ٥.

(٢) ينظر: السيرة الذاتية للشيخ المنشورة على الشبكة العنكبوتية. (الإنترنت) في موقعه (www binothaimeen. com)، وجهود الشيخ ابن عثيمين: ٣٣-٣٤.

تلاميذه:

قرأ على الشيخ كثير من طلاب العلم عبر سنينه الطويلة التي جلس فيها للتدريس، يصعب حصرهم، ولكني أذكر طائفة من أشهرهم وهم:

١- الشيخ: حمد بن عبد الله الحمد.

٥- الشيخ الدكتور: عبد الرحمن بن صالح الدهش.

٤- الشيخ الدكتور: سامي بن محمد الصقير.

٣- الشيخ الدكتور: خالد بن علي المشيقح.

٢- الشيخ الدكتور: خالد بن عبد الله المصلح.

وغيرهم كثير ممن لا يتسع المجال لذكرهم[١].

صفاته الشخصية:

تمتع الشيخ ابن عثيمين بصفات حميدة تنبئ عن عالم جليل، ذي مكانة عالية بين علماء عصره، خلَّده علمه وخلقه:

فقد كان -رحمه الله- تقيًّا زاهدًا ورعًا[٢]، متواضعًا، يتّهم نفسه بالعجز والتقصير، ويمقت الكبر، حليما صبورا جادا في طلب العلم وتعليمه، وفي تنظيم وقته، جوادًا كريمًا، وفيًّا لمشايخه بارًّا بهم.

أما زهده فظهر جليًّا في هذا الموقف – والمواقف كثيرة -: أنه أهدي إليه سيارة من أمير منطقة القصيم، فلما قدم الشيخ إلى البيت وإذا بالسيارة بجوار البيت فأُخبر عنها، فبقيت عند البيت لا تتحرك خمسة أيام، ثم اتخذ الشيخ قراره وقال لابنه عبد الله: تأخذ السيارة إلى الأمير وتشكره على صنيعه، وتخبره أنني غير محتاج إليها، فردت السيارة إلى الأمير، علمًا بأن الشيخ عنده سيارة قديمة رخيصة الثمن، فلم يكن يهتّم بمظهر مركبه زهدًا منه -رحمه الله تعالى - في

---

(١) الجامع لحياة الشيخ: ٥٤-٥٧.

(٢) الفرق بين الزهد والورع: يقول ابن القيم: «إن الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة، والورع ترك ما يخشى ضرره في الآخرة، والقلب المعلق بالشهوات لا يصح له زهد ولا ورع». الفوائد لابن القيم: ١١٨.

هذه الدنيا الزائلة[1].

وإنّ من مواقف ورعه –رحمه الله تعالى – أنه عندما يتغيب عن إمامة الجامع الكبير في عنيزة حيث كان يتقاضى راتبًا شهريًّا مقابل إمامته للجامع، فإنه يدفع ما يقابل تغيبه ولو كان يومًا واحدًا لمن استخلفه في الإمامة، وكذلك إذا تأخر عن العمل– عندما كان يدرس في المعهد العلمي بعنيزة – ولو لبضع دقائق أثبت ذلك في سجل الحضور وكتب أمامه بغير عذر[2].

وهو يضرب أجلّ الأمثلة في الصبر؛ إذ تراه في شهر رمضان المبارك حينما يدلف إلى مكة المكرمة في العشر الأواخر، طيلة يومه في قراءة القرآن، والإجابة عن الفتاوى عن طريق الهواتف، ثم تبدأ رحلته الربانية بصلاة العشاء والتراويح، ثم درس بعد التراويح إلى القيام، ثم ينهال عليه طلبة العلم ويكتظ الزحام حوله؛ فيظل معهم ساعات طويلة يجيب عن سؤال هذا ويستمع لذلك، ويناقش واحدًا، ويلاطف ثانيًا، ويشرح لثالثٍ، ثم يعود لصلاة الفجر؛ فيبدأ درسًا طويلاً من بعد الفجر إلى الضحى، ثم يدعى أحيانًا لإلقاء محاضرات أو لمشاركة في لقاءات دعوية أو في جمعيات خيرية، وهكذا دواليك، فما ازداد بالصبر والمثابرة إلا قوة ونشاطًا، وعزمًا وإقدامًا، وحبا واحترامًا[3].

ومن أمثلة ذلك ما حدث مع الشيخ سليمان العلوان، حيث يقول: «اتصل الشيخ بي وكان ذلك بتاريخ ١٤١٥هـ بشأن موضوع أَفتيتُ به في مسألة الدماء في الحج فيمن ترك واجبًا أو فَعَل محضورًا، وأراد الشيخ مناقشة المسألة، فتمَّ اللقاء في منزل الشيخ ودار الحديث قرابة ثلاث ساعات تضمنت تأييد المنهج التعليمي في إصلاح الأفراد والمجتمعات، وطلب مني النظر في كتابه (الشرح الممتع) وموافاته ببعض الملاحظات، فكان يرسل إلي مع بعض الإخوة كل جزء يصدر من (الشرح الممتع) في حينه، ثم اتصل بي الشيخ– رحمه الله– في نفس العام، وقال: «بلغني من بعض طلبة العلم أنكم تُضعِفُون حديث أم سلمة: أن النبي ﷺ قال: ((إن هذا يوم رُخص لكم فيه أن ترموا جمرة العقبة، فإذا غربت الشمس ولم تطوفوا بالبيت عدتم حرمًا كما

(١) الجامع لحياة الشيخ: ٢٣.

(٢) السابق: ٢٤.

(٣) ابن عثيمين الإمام الزاهد: ١٧٤.

بدأتم))» فأخبرته بصحة ما ذكر وأن الحديث منكر، وطلب مني بعد ذلك أن أكتب له رأيي في هذا الحديث، وبعد ذلك أصدر الشيخ بخط يده فتوى بتضعيف هذا الحديث ونكارته، وهي مطبوعة في كتابه (فتاوى الحج)...»[1].

ومما تميز به رجوعه إلى الحق متى استبان له، والناظر في مؤلفاته يلمس ذلك عن قرب[2].

كما تميز -رحمه الله- بمتابعته للسنة وتحريه لها متى استبانت له، وقد خالف في شرحه لزاد المستقنع مؤلفه في أكثر من ثمانين مسألة كانت خلاف الدليل عنده[3]، ومن تحريه للسنة ما ذكره عن نفسه- رحمه الله- أنه لا يدع غسل الجمعة أبدًا، قال عن حديث: ((غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم)): «فالصواب عندي كالمقطوع به: أن غسل الجمعة واجب على كل إنسان، وما تركته منذ علمت بهذا الحديث لا صيفًا، ولا شتاءً، ولا حرًّا، ولا بردًا، ولا إذا كان فيَّ مرض أتحمل معه الاغتسال، وقلت هذا حتى تعلموا أنني لا أشك في وجوبه، وأرى أنه لابد أن يغتسل الإنسان»[4].

كما كان لا يبالي في إظهار السنة متى تبينت له فهو يسلك مسلك شيخيه عبد الرحمن السعدي وعبد العزيز ابن باز - رحمهما الله - فكان يؤكد على أهمية التفريق في إظهار السنة ممن ليس عالمًا معتبرًا مقبولاً قوله، وبين إظهارها من أهل العلم الذين يصدر الناس عن أقوالهم، ويأخذ الناس بآرائهم فكان -رحمه الله- يوصي طلبة العلم، ومحبيه، والدعاة بأن يترفقوا في إظهار السنة ولا سيما في البلاد التي لم تظهر فيها سنة الرسول ﷺ، وكان الأمر على خلاف ذلك، فكان يقول -رحمه الله- لإخوانه الذين يسألون في إظهار سنة غير معروفة في بلدانهم: «ترفقوا بالناس...أبدؤوا بالسنة والترغيب فيها والحث عليها، ثم إذا وجدتم أن الناس قد لانت

---

(١) الجامع لحياة الشيخ: ٨٦-٨٧.

(٢) من ذلك قوله رحمه الله في (مسألة مسّ المحدث للمصحف): «وكنت في هذه المسألة أميل إلى قول الظاهرية- وهو جواز مس المصحف للمحدث لكن لما تأملت قوله: ((لا يمس القرآن إلا طاهر)). تبين لي أنه لا يجوز أن يمس القرآن من كان محدثًا حدثًا أصغر، أو أكبر، والذي أركن إليه حديث عمرو بن حزم». ينظر الشرح الممتع على زاد المستقنع: ١/ ٢٦٥-٢٦٦.

(٣) ينظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع: ١/ ٤٧-٤٨-٧٣-٥٨-٦٧-٧٦.

(٤) فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام: ١/ ٥٨٦.

قلوبهم، وقبلوا قولكم فلا بأس بعد ذلك أن تعملوا لإظهارها، لكن ينبغي ألا يكون العمل بالسنة داعية إلى التفريق بين الناس، وإيقاع البلابل بينهم، أو ردّ الحق الذي يدعوهم إليه مما هو أولى من هذا وأكبر»[(١)].

ومن سمات ابن عثيمين الظاهرة قوة الحافظة، وسعة الاطلاع، والقدرة على التأليف، يجد هذا مَن وقف على مؤلفاته ورسائله الكثيرة.

هذه بعض الأخلاق والشمائل والمثل النبيلة التي أهّلته – بتوفيق الله – لمكانة علمية مرموقة[(٢)]، ومن نظر في كتاب (توجيه الراغبين إلى اختيارات الشيخ ابن عثيمين)[(٣)]علم قوة الشيخ في الفقه وسعة اطلاعه، بحيث لا يشك في أنه من كبار فقهاء الإسلام.

ثناء العلماء عليه:

أَثنى على الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله– الكثير من العُلماء والأُمراء والأُدباء؛ وقد اخترت بعضًا من كلام العلماء فيه؛ منها:

- ذكر سماحة مفتي عام المملكة العربية السعودية الشيخ عبد العزيز آل الشيخ، قائلاً: «الشيخ محمد– غفر الله لنا وله – لا تخفى على الجميع مكانته وآثاره العلمية من خلال التأليف والمحاضرات والدروس والمقالات، ومن خلال الأشرطة التي تحمل في طياتها كل خير، ومن حيث اعتداله وبعده عن الإفراط والتفريط، وكونه في أموره على طريق مستقيم، وكم ربّى من طلاب؛ وكم شرح من كتاب؛ واستفاد منه المستفيدون؛ ونسأل الله أن يجازيه عنا وعن الإسلام خير الجزاء...»[(٤)].
- فضيلة الشيخ عبد الله بن جبرين –رحمه الله – عضو الإفتاء قال: «عندما قدمنا للدعوة في الرياض؛ زودنا ببعض مؤلفاته، ومنها تلخيصه الحموية وغيره من الرسائل التي كان قد

---

(١) من شريط: الشيخ ابن عثيمين كما عرفته للشيخ: خالد المصلح: الوجه الأول.

(٢) ينظر: العقد الثمين من قواعد الشيخ ابن عثيمين لرائد باجوري: ١٥–١٦، والجامع لحياة ابن عثيمين: ٢٤، والإمام الزاهد: ١٧٤.

(٣) للشيخ ابن عثيمين، جمع وإعداد: محمد بن عبد الله الذياب.

(٤) صحيفة عكاظ العدد رقم: ١٢٥٥٦.

طبعها، وبشرنا بأنه مقبل على التأليف والكتابة، وشرح لنا شيئًا عن شيخه عبد الرحمن ابن سعدي – رحمه الله– وذكر أنه هو الذي استفاد منه كثيرًا، ثم ذكر لنا أنه يقوم بالخطابة في أحد المساجد بعنيزة، وأنه يؤلف الخطب ويكتبها في موضوعات ذات أهمية، ولها مناسبة للوقت، اقتداء بشيخه ابن سعدي الذي كان يخطب في كل مناسبة بما يناسب الوقت...وكنَّا غالبا ما نستفيد منه، ونرسل إليه الكثير من الأسئلة. وكذلك نرجع نحن وغيرنا إلى مؤلفاته القيمة التي تعب فيها وحققها وجمع فيها كل ما حضر إليه، وكل مسألة كتبها تدل على عمق اختياره، وقد عرفنا منه حرصه على موافقة اختيارات شيخه ابن سعدي –رحمه الله– وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، ولو كان غيره قد يخالفه في شيء من تلك الاجتهادات التي في مجال الاجتهاد»[1].

- فضيلة الشيخ: صالح بن عبد الله بن حميد، رئيس مجلس الشورى سابقًا وإمام الحرم المكي، قال: «كانت له طريقة فريدة في التعليم وشحذ هِمم الطلاب، وإثارة الأسئلة التعليمية، وضرب الأمثلة، والتخريج على القواعد، وفي الإفتاء له مسلك ظاهر في القصد إلى التيسير والاعتدال، مع لزوم الأدب مع المخالف، واحترام فقه الخلاف، وكان حسن الرعاية لتلاميذه، متابعًا لتحصيلهم؛ مما جعل قلوب طلاب العلم تتعلق به، وترحل إليه، وتثني ركبها بين يديه، لقد وسعهم بعلمه، كما وسعهم بحلمه، وشملهم برعايته كما شملهم بتوجيهه»[2].

وفاته:

بدأت على الشيخ أعراض المرض في سنة ١٤٢٠هـ؛ وكان –رحمه الله– يظن بادي الأمر أنها امتداد للعملية الجراحية التي أجراها من قبل ذلك، فلم يعرها اهتمامًا، وبعد انتهاء العام الدراسي سنة ١٤٢١هـ ذهب لزيارة بعض الأقارب في الرياض، وكان يشتكي ضعف النظر، فذهب به ابنه إبراهيم إلى مستشفى الملك فهد للحرس الوطني؛ لغرض فحص النظر فقط، فألحَّ عليه ابنه عبد الله بوصية من والدته أن يجري فحصًا عامًّا؛ ليتعرفوا على الأعراض التي يشكو

(١) صحيفة البلاد: العدد رقم: ١٦٢٣٣.

(٢) صحيفة الجزيرة العدد رقم: ١٠٣٤٧.

منها، فوافق –رحمه الله– على نصيحة الأطباء؛ وفي نفس اليوم أُجريت له الفحوصات المطلوبة فتبين للأطباء أن الشيخ مصاب بمرض سرطان القولون[1]، ثم قرر الأطباء بأن يُحال الشيخ إلى مستشفى الملك فيصل التخصصي في الرياض؛ لأنه مختص بعلاج هذا المرض، وهناك أجريت له الفحوصات وتأكد لهم وجود هذا المرض، ثم انتقلوا إلى مرحلة العلاج، فاختلفت وجهات النظر بالنسبة إلى الأطباء فبعضهم يرى أن يستعمل الجرعات الكيماوية، وبعضهم يرى أن يستعمل الإشعاع، ومع هذا فلم يؤثر المرض على نفسية الشيخ مع علمه به ولم يغير شيئًا من حياته المعتادة، فاستقبل المرض بالصبر والاحتساب والإيمان.

ثم عُرض على الشيخ –رحمه الله– السفر إلى بلاد أمريكا للعلاج فوافق – رحمه الله– بعد إلحاح ولاة الأمر في المملكة العربية السعودية، وإلحاح أفراد أسرته والمحبين له، وكان برفقته أخوه الدكتور عبد الله وأبناؤه الأربعة عبد الله وإبراهيم وعبد الرحيم وعبد العزيز، وزوجا ابنتيه خالد المصلح وسامي الصقير، ولكن المرض تفشى كثيرا. واتفق الأطباء على علاج معين وهو متوفر في مستشفى الملك فيصل التخصصي بالرياض، فقرر الشيخ –رحمه الله– العودة إلى السعودية ومواصلة العلاج هناك، وقد كره الشيخ العلاج بالكيماوي؛ بل رفضه؛ لأنه يسبب تساقط الشعر ومنه اللحية[2].

ثم تضاعف عليه المرض ولزم الفراش في المستشفى؛ ليكون تحت عناية الأطباء، وفي رمضان عام ١٤٢١هـ وهو في العناية المركزة كان يُلِحّ على الأطباء أن يذهب إلى مكة للصلاة في الحرم وإلقاء الدروس، فسمحوا له فأرسلوه بطائرة إخلاء طبية، ووضعت له غرفة في المسجد الحرام بمكة المكرمة متكاملة بالأجهزة مع فريق طبي متكامل.

وأخذت حال الشيخ تزداد سوءًا يومًا بعد يوم، وهو لا يتوانى عن أن ينفع الناس، وعندما تدهورت الحالة الصحيّة لديه منع الأطباء السلام عليه ومصافحته؛ لضعف المناعة عند الشيخ بسبب العلاج والعقاقير، وقرر الأطباء عودته من الحرم إلى المستشفى التخصصي في جدة،

---

(١) كان الشيخ –رحمه الله– لا يحب أن يسمي مرض السرطان بـ(المرض الخبيث)؛ لأن هذا بلاء من الله، والله لا يأتي بالخبيث، بل كله خير. ينظر: الجامع لحياة الشيخ: ١٧٧.

(٢) هذا ما أفادتني به ابنة الشيخ فاطمة باتصال هاتفي في ٢/ ٨/ ١٤٢٩هـ، والذي ذكر في أغلب المصادر التي ترجمت للشيخ –رحمه الله– أنه وافق على أخذ الكيماوي بعد كراهيته.